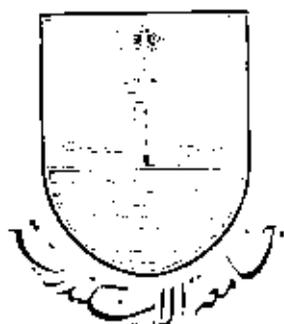


# مجلة كلية الآداب



عدد تذكاري خاص

بماتة من الذخيرة

الأستاذ عبد الحميد العبادي

المجلد الرابع عشر

١٩٦٠

طلب عدد عدة من مكتب كلية الآداب بجامعة أسيوط  
بشأنه ، ووجه الكرام الخاصة بالناحية الفنية إلى  
الدكتور جمال الدين الشيال مكرتير التحرير

مطبعة جامعة أسيوط

١٩٦٠



## فهرس القسم العربى

صفحة	
	١ - أبو العلاء عفيق
١	سارج مجهول من سراج الرسالة الفشرية
	٢ - جمال الدين الشيال
١٩	تكوين الشعب المصرى الجديد بعد الفتح العربى
	٣ - حسين مؤنس
٣٣	صورة الأندلس
	٤ - عبد الحادى التازى
٦١	المرووف النقوشة بجامع الغرويين
	٥ - توفيق الطويل
٧٩	مدخل لدراسة تاريخ الفلسفة
	٦ - محمد فريد أبو حديد
١١٩	فصحة عشر سنوات فى مرابيس بالريفية
	٧ - حسن عثمان
١٣٩	أفريقيا فى مظهر داتى
	٨ - محمد خلف اللد أحمد
١٦١	شخصية الأمة العربية : قوامها وعناصرها
	٩ - السيد أحمد خليل
١٧٥	التصور النقوى عند العرب
	١٠ - سامى شنوده
١٩١	النور للثقة بدير القديسة كاترين بشه جريرة سيناء
	١١ - هانز روبرت ترجة لطفى عبد الوهاب يحيى
٢٠١	ونائق التاريخ المصرى فى العصر الإسلامى



## تحية إجلال ووفاء

أربعون سنة قضاها المرحوم الأستاذ عبد الحميد العبادي يعلم التاريخ في معاهد وجامعات مصر واندول العربية .

وعشر سنوات قضاها - رحمه الله - عميدا لكلية الآداب بجامعة الاسكندرية وأستاذا للتاريخ الإسلامى بها .

وعلى يديه تخرج ألوف من الطلاب أخذوا عنه منهجه ، وتأثروا بأخلاقه النبيلة ، ونفسه المظمتة ، وروحه العالية .

وقد كنت وجهت الدعوة بعيد وفاته إلى نفر من أصدقائه وتلاميذه أن يكتب كل منهم بحثا في موضوع تاريخي أو أدبي يتصل بالدراسات التي كان يعنى بها الأستاذ - رحمه الله - وقد استجاب لهذه الدعوة بعض هؤلاء الأصدقاء والتلاميذ ، وتفضلوا مشكورين بإرسال هذه النسخة الممتازة من البحوث الطيبة فقدمت بها إلى الأستاذ خلف الله أحمد - وهو واحد من تلاميذه وأصدقائه كما أنه خلفه في عمادة كلية الآداب - واستأذنته أن تخرج هذه البحوث في عدد خاص من أعداد مجلة كلية الآداب يهديه إلى روح الأستاذ العبادي تحية إجلال ووفاء ، فوافق مرحبا وأذن لي ، وهاهوذا العدد التذكري نقدمه اليوم إلى روح أستاذنا الحبيب عبد الحميد العبادي تخليدا وإحياءا لتذكاره ، وعرفانا بما كان له من فضل على الدراسات العربية والتاريخية وعلينا جميعا نحن أصدقائه وتلاميذه .

صالح الدين السبيل  
سكرتير تحرير المجلة

فبراير ١٩٦٠





لمرحوم

الأستاذ عبد الحميد العبادي

عميد كلية الآداب سابق



# الأستاذ عبد الحميد العبادي

في كلمات

مولده ودراسته :

- ولد في الإسكندرية في سنة ١٨٩٢ م
- ثم علومه الابتدائية والثانوية في مدارس الإسكندرية
- تخرج في مدرسة المعلمين العليا سنة ١٩١٤
- حصل على ليسانس الحقوق

الوظائف :

- بدأ حياته التعليمية مدرسا في مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية
- عين أستاذا للتاريخ في مدرسة القضاء الشرعي
- عند افتتاح الجامعة المصرية في سنة ١٩٢٥ اختير أستاذا لتاريخ الإسلام بكلية الآداب
- عند إنشاء جامعة الإسكندرية في سنة ١٩٤٣ نقل إليها عميدا لكلية الآداب وأستاذا لتاريخ الإسلام بها .
- ظل يشغل المنصب الأخير عشر سنوات إلى أن أحيل للمعاش في سنة ١٩٥٢
- أثناء شغله للكرسي لتاريخ الإسلام بجامعة القاهرة والإسكندرية قدّم لتدريس هذه المادة في كثير من الجامعات والمعاهد العلمية في مصر وخارجها ، منها :
- الجامعة الأزهرية
- كلية دار العلوم
- كلية الآداب بجامعة عين شمس
- دار المعلمين العالية ببغداد
- بعد إحالته إلى المعاش عين أستاذا لتاريخ في معهد الدراسات العربية العليا التابع لجامعة الكويت ، وظل يشغل هذا المنصب إلى أن اختاره الله في جوارحه

المنشآت العلمية :

- عضو مؤسس بلجنة التأليف والترجمة والنشر
- عضو مؤسس بمجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

- عضو بالمجمع المصري للغة العربية
- عضو مرائل بالمجمع العلمي العربي بدمشق
- مثل مصر وإقامات المصرية في عدد كبير من المؤتمرات الدولية ، وخاصة مؤتمرات  
الاستشراف والمؤتمرات التاريخية ومؤتمر القردوسى ... .. الخ .

### مؤلفاته وجهوده العلمية :

- ١ - المسألة المصرية قروذحتين ، ترجمه إلى العربية بالاشتراك مع الأستاذ محمد بدران
  - ٢ - نقد النثر المنسوب للقائمة بن جعفر ، قام على تحقيقه ونشره والتقديم له  
بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور طه حسين .
  - ٣ - علم التاريخ لمنشور ، ترجمه عن الإنجليزية وأضاف إليه بقلمه فصلا قيما  
عن التاريخ عند العرب .
  - ٤ - صور من التاريخ الإسلامى ، الجزء الأول ( الدولة العربية )
  - ٥ - صور من تاريخ الإسلامى ، الجزء الثانى ( الدولة العباسية والأندلس )
  - ٦ - مجمل تاريخ الأندلس ( مجموعة محاضراته نشرت بعد وفاته في مجموعة المكنية  
التاريخية التي يصدرها الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم أستاذ التاريخ الحديث  
بجامعة عين شمس ) .
- وقد قام الأستاذ - رحمه الله - بمراجعة كتاب « الحضارة الإسلامية » لمروفيانوم  
التي ترجمه عن الإنجليزية الأستاذ عبد العزيز جاويد .
- وله عدد كبير من المقالات التاريخية التي نشرت في المجلات العلمية المختلفة

### مرضه ووفاته :

وفي سنة ١٩٥٣ انتد به المرض فسافر إلى لندن وبقى في أحد مستشفياتها ثلاثة  
أشهر ، ثم عاد ، ولكن العلة اشتدت به فانتقل إلى رحمة الله في الثالث من أغسطس  
سنة ١٩٥٦

## شارح مجهول من شرح الرسالة القشيرية

بسم أبر العبد عفيفي

المعروف من شروح «الرسالة» لأبي انعام عبد الكريم بن هوازن القشيري حتى اليوم أربعة : أولها وأشهرها على الإطلاق شرح الشيخ زكريا الأنصاري المثنوي سنة ٩١٠ هـ (١) ، وهو المعروف بإحكام الدلالة على تحرير الرسالة (٢) طبع في بولاق سنة ١٢٩٠ هـ

وثانيهما شرح الشيخ مديد الدين النخعي الإسكندري ، وهو المعروف «بالدلالة على فوائد الرسالة» ، ولا يزال مخطوطاً بمكتبته مراد ملا تحت رقم ١٢٤١

وثالثها شرح مختصر لمؤلف مجهول الاسم عنوانه «تهذيب الدلالة على تصحيح الرسالة» يوجد مخطوطاً بالمكتبة الظاهرية تحت رقم ٦٩ - ١٦٧ .

ورابعها شرح آخر لمؤلف مجهول الاسم عنوانه «إرشاد المريدين» يوجد مخطوطاً بمكتبة الهند تحت رقم ١٢٥٩ - ٦٠ ، ورايبورج ص ٣٢٨

وعندما خطر لي أن أنشر رسالة القشيري ... وهي بلا شك من أهم انصاير التي يستعين بها دارس التصوف الإسلامي ، إن لم تكن أهمها ، وأن أضع عليها تعليقات وتحقيقات تكشف أسرارها كما فعلت بكتاب فصوص الحكم لمحي الدين بن عربي ، أخذت أقرأ شرح الأنصاري مع حاشية العروسي عليه ، وشرح مديد الدين النخعي ، وكنت أقرأ هذا الأخير في نسخة مصورة عن مخطوطة اسطنبول التي سيأتي وصفها ،

(١) - قيل سنة ٩٢٥ : واسع النور لسافر عن أخبار القرن العاشر لعبدري .

(٢) - راجع شرح الأنصاري مع حاشية العروسي مذ بولاق - ص ١٥

فاسترعى نظري ما بين الشرحين من شبه قوى ، استحاله مع طول القراءة والمقارنة إلى اتعاد يكاد يكون تاما . فاقنعت في نهاية المطاف بأن الشرح المنسوب إلى شيخ الإسلام زكريا الأنصاري قد أخذ معظمه أخذاً يكاد يكون حرفياً من شرح سعيد الدين ، وأن الشهرة التي تمتع بها الأنصاري أكثر من أربعة قرون كشارح لرسالة القشيري شهرة زائفة ، وأنه لم يكن له من الفضل في مؤلفه سوى التلخيص والتجزئة لشرح أوفى وأطول ، هو شرح اللخمي .

وقد استرعى نظري شيء آخر له مغزاه ، وهو الاسم الذي اختاره الأنصاري لشرحه : فقد أطلق عليه اسم « إحكام الدلالة على تحرير الرسالة » . و « الدلالة » هو الاسم الذي سمي به اللخمي شرحه إذ أطلق عليه اسم « اندلالة على فوائد الرسالة » . فكأن الأنصاري يشير بذلك إلى الصلة بين شرحه وشرح اللخمي من غير أن يعترف بفضله عليه صراحة . بل على العكس كأنه يقول إنه وجد الدلالة غير محكمة فأحكمها — على حسب زعمه ، مع أنه ليس فيها زعم شيء من الإحكام أو ما يقرب منه . اللهم إلا إذا سمينا التلخيص إحكاما !

على أن شرح اللخمي لم يكن مصدر شرح الأنصاري وحده ، بل كان أيضا معتد شارح آخر هو صاحب « تهذيب الدلالة » ، ولكن هذا أكثر صراحة وتواضعا من الشيخ الأنصاري لأنه لم يزد على أنه هذب « الدلالة » واختصرها .

أخذت بعد ذلك أبحث عن ترجمة لسيد الدين اللخمي الشارح الأكبر على الحقيقة لرسالة القشيري فلم أقف لهذا العالم الجليل المعمر على أثر . بل لم أظفر بتاريخ ميلاده أو وفاته . ولم يكن الأب دى بوركي بأكثر توفيقا عندما أراد أن يذكر في مقدمته نشرته لشرح سعيد الدين على كتاب « منازل السائرين » للهرودي شيئا عن تاريخ حياة المؤلف . بحثت عنه في وفيات الأعيان لابن خلكان ، وفيات الوفيات لابن شاکر الكتبي ، والوفيات بالوفيات للصفدي ، ومعجم الأدباء لياقوت ،

والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، وحن المحاضرة للسيوطي ،  
 وشذرات الذهب لابن العماد . وانشجوم الزاهرة لابن تغري بردي ،  
 والمعجب لعبد الواحد المراكشي ، ورحلة ابن رشيد - الجزء الباقي منها  
 في مخطوطة بلدية الإسكندرية ، وطبقات المناوي المخطوطة ببلدية  
 الإسكندرية وغير ذلك من المضان والمراجع ، فلم أجد إشارة واحدة  
 إليه مع أن كتب الطبقات ومعجم التراجم تفيض بذكر رجال هم من غير  
 شك دون الشيخ سديد الدين منزلة وخطراً . فلماذا لا تشير هذه المراجع  
 بكلمة واحدة إلى رجل من خيرة العلماء والفقهاء والشراح ؟ هذا سر  
 من الأسرار لا أستطيع له كشفاً ! .

أما شرحه على الرسالة فمعروف مشار إليه في الكتب : ذكره  
 حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون (١) فقال : « الرسالة التفسيرية  
 في التصوف للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى  
 سنة ٤٦٥ عن ٨٩ سنة . . . وشرحها القاضي زكريا بن محمد الأنصاري  
 المتوفى سنة ٩١٠ في مجلد مع المتن سماه إحكام الدلالة على تحرير  
 الرسالة . ونجز إهلاء الأصل أوائل سنة ٤٣٨ ، وفرغ من الشرح  
 سنة ٨٩٣ . . . ومن شروحها اندلالة على فوائد الرسالة للشيخ الفقيه  
 سديد الدين أبي محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد العلي اللخمي  
 الإسكندري المتوفى سنة ٦ ( ولم يذكر التاريخ ) . وكذلك ورد ذكر  
 هذا الشرح في شرح مرتضى الزبيدي على الإحياء (٢) حيث يقول : « وأما  
 التصوف والرقائق فقد طالعت عليه كتباً كثيرة ، وأجلها تعداداً الرسالة  
 للإمام أبي القاسم القشيري وشرحها لأبي محمد عبد المعطي بن محمود  
 اللخمي والشيخ الإسلام زكريا . وذكره بروكلمان في ملحق كتابه « تاريخ  
 الأدب العربي » (٣) .

(١) كشف الظنون - ج ١ ص ٨٨٢

(٢) - ج ٤ ص ٤ ، المقدمة .

(٣) الملحق - ج ١ ص ٧٧١

ولكننا مع ذلك نستطيع أن نمتجلى بعض الحقائق عن شخصية  
الشارح المجهول وعن العصر الذي عاش فيه بين ثنايا الإشارات الثقلية  
الموارد في شرحه على كتابي « الرسالة » و « منازل السائرين » . كما نستطيع  
أن نستدل على بعض صفاته العلمية والحلجية وعلى مكانته في التصوف  
بشرح على الرسالة بوجه خاص .

أما الزمن الذي عاش فيه ، فالأرجح أنه كان أو أواخر القرن السادس  
وأوائل السابع : وذلك للأسباب الآتية :

(أولا) ينسب القشيري في مطلع رسالته على الصوفية ترويضهم  
في مهاوى الهلاك ، وتركهم سرية السلف الصالح وتشبههم بأهل الورع  
أخا ورما لا حقيقة ، فيعقب اللخمي على ذلك بقوله :

« وإذا كان ما وصفه ( أي القشيري ) بالمتشبهة بهذه الطريقة قد غلب  
على زمانه ، وبيننا وبينه مائتا عام من السنين ، فكيف بزماننا وقد توالى  
على القلوب الإهمال لأمر الدين وقل اتباع العلم ، واعتقد من ينسب  
لهذه الطريقة بغير تحقيق ، أن تقليد العلماء والرجوع إلى الشريعة  
ممنة جملة القواطع عن الطريق : فلما لله وإنا إليه راجعون » (١) فإذا  
أضفنا المائتي سنة التي قال إنها فصلت بينه وبين القشيري على تاريخ  
وفاة القشيري وهو سنة ٤٦٥ كما ذكرنا ، رجحنا أن وفاة اللخمي  
كانت قبل سنة ٦٦٥ أو بعدها بقليل .

(ثانيا) يقول ناسخ « الدلالة » في آخرها :

« كمل كتاب الدلالة على فوائد الرسالة بحمد الله تعالى وعونه : نسخ  
سنة ٧٤٣ من نسخة قولت على الشارح رضي الله عنه وعليها خطه  
( أي النسخة المقابل عليها ) وكب المقابل لها على شارحها في آخرها :  
« وكان الفراغ من إتمام هذا الشرح المبارك سنة ٦٣٨ » .

(١) مخطوط الدلالة ر ١

فإذا كان اللخمى قد انتهى من إملاء «الدلالة» في هذا التاريخ ،  
كلنا نفترض تاريخ وفاته حوالي سنة ٦٦٥ ناقرا أيضا معقولا ، إذ كأنهم  
عاش بعد فراغه من تأليف «الدلالة» حوالي ٢٧ سنة .

(ثالثا) يقول ناسخ<sup>(١)</sup> شرح اللخمى على كتاب « منازل السائرين »  
للهروى الأنصارى إنه سمع الشرح وكتبه بإملاء من المؤلف ، وإن المؤلف  
ناوله جميع توألفه التي منها شرح كتاب الرسالة ، وشرح كتاب الرعاية<sup>(٢)</sup>  
وكتاب الحدود<sup>(٣)</sup> ، ثم يقول إنه انتهى من نسخ شرح « منازل  
السائرين » في الثامن من شعبان سنة ٦٣٨ . وهذه حقيقة أخرى تدعم  
الترض الذي ذهبنا إليه . ومن الغريب أن يتفق الانتهاء من إملاء شرح  
الرسالة وشرح منازل السائرين في سنة واحدة ، وإن كان الانتهاء من  
شرح الرسالة أسبق بأشهر أو بأيام كما تشير إليه عبارة ناسخ شرح المنازل .

فإذا قدرنا أن اللخمى فرغ من إملاء هذين الشرحين وهو في سن  
الخمسين ، وأنه عاش بعد ذلك نحو من عشرين إلى سبع وعشرين سنة ،  
جاز لنا أن نترض أن وفاته وقعت ما بين سنة ٦٦٠ وسنة ٦٦٥ وهو  
ما ذهبنا إليه .

أما شخصية سيد الدين العلمية فنستطيع أن نعرف بعض الشيء  
عنها من الألقاب التي ختمها عليه ناسخو كتبه . ومن ثانيا الإشارات  
التي يشير فيها إلى مسائل العلوم الدينية وعلم التصوف بوجه خاص .  
ومرجعنا في ذلك شرحه الذي بين أيدينا ، فنه نستمد الضوء الذي يمكن  
إلقاؤه على هذه الشخصية المجهولة .

تذكر ألقابه في صدر شرحه على الرسالة القشيرية على النحو الآتي :

(١) وهو محمد بن عبد الله بن يوسف بن حماد الصنهاجى .

(٢) وأغلب الظن أنها الرعاية للمحامى .

(٣) إملاء كتاب في الفقه .

« الشيخ الفقيه ، الإمام العارف ، الورع الزاهد ، لسان المتكلمين  
وشيخ المحبين ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن ، العارف بمقام السائر  
والقائظ ، السيد الأجل ، العلامة سديد الدين ... » (1) وفي صدر  
شرحه على منازل السائرين للهروي تذكر ألقابه بنفس الألفاظ تقريباً  
هكذا :

« الشيخ الفقيه ، الإمام العالم ، الورع الزاهد ، لسان المتكلمين  
وشيخ المحبين ، قدوة السالكين ، الجامع بين علمي الظاهر والباطن ،  
العارف بمقام السائر والقائظ ، السيد الأجل الأوحده ، العلامة  
سديد الدين ... » (2)

فناضحا الشرحين ، وقد كان أحدهما ، وهو الصنهاجي ، تلميذاً  
لسديد الدين ، يتفقان على وصفه بالأوصاف الآتية :

(أولاً) أنه كان قسماً . وأغلب الظن أنه كان مالكي المذهب ،  
وهو المذهب الذي كان غالباً بين أهل المغرب . والظاهر أن سديد الدين  
كان مغرب المولد ، إسكندري الإقامة ، شأنه في ذلك شأن كثيرين  
من علماء المغرب الذين نزحوا إلى مصر وأقام بعضهم بالإسكندرية .

(ثانياً) أنه كان زاهدا ورعا وصوفياً جمع بين علمي الظاهر  
والباطن ، وأنه كان له مريدون يقتدون به ويأخذون عنه تعاليمه الصوفية  
بدليل وصفه بأنه كان شيخ المحبين وقدوة السالكين .

(ثالثاً) أنه كان ضليعاً في علم الكلام بدليل وصفه بأنه لسان  
المتكلمين — وإن كان هذا الوصف قد يراد به أنه لسان المتكلمين  
في التصوف . أما ضلوعه في علم الكلام فيشهد بها شرحه الذي يفيض

(1) مخطوطة أملاؤه ١-١

(2) شرح منازل السائرين نشرة الأب دي بوردن القاهرة سنة ١٩٥٤ ص ٤

بالمناقشات الكلامية وينحو فيها نحو المذهب الأشعري الذي كان سائدا في بلاد المغرب أيضا .

( رابعاً ) أنه لم يكن فقيها وحسب ، ولا متصوفا وحسب ، بل جمع بين الفقه والتصوف على النمط الذي سار عليه معظم كبار الصوفية منذ عهد الغزالي وسار عليه كثير من مشايخ التصوف السني بعد الغزالي أمثال أبي الحسن الشافلي ، وأبي العباس المرسي وابن عطاء الله السكندري وغيرهم . وسيأتي مزيد بيان لهذه الأوصاف عندما نتحدث عن أسلوب اللخمي في شرح الرسالة .

أما أنه كان عالماً بالفقه فظاهر من شرحه ، فإنه لا تعرض مسألة من المسائل التي لها اتصال بالفقه إلا أفاض القول فيها وبين أحكام الشرع بإزائها . بل إنه كثيراً ما يقرر رأي الصوفية في أمر من الأمور ثم يتبعه برأي الفقهاء ، مبيّناً الفرق بين الرأيين ، منتصراً في أغلب الأحيان لمذهب الفقهاء . فمثلاً : « هذا هو رأي هؤلاء القوم ( يعني الصوفية ) ؛ أما رأينا ( يعني الفقهاء ) فكيت وكيت ، كما فعل في اعتراضه على أن حمزة الخراساني في إحصائه الدائم<sup>(١)</sup> و اعتراضه على تكحيل أبي بكر الشبل عينيه بالملح وغير ذلك .

والذي يتصفح شرحه على الرسالة يتبين في وضوح أن الرجل كان فقيهاً أولاً ، ومتصوفاً ثانياً ، بل لا يتردد في القول بأنه - على الرغم من علمه بالتصوف وقواعده وتعاليمه - كان قليل الحفظ من الذوق الصوفي الخالص . فهو لا يعني بإبراز المعاني الصوفية والدقائق الروحية التي تتضمنها أقوال مشايخ الصوفية ، بقدر عنايته بإبراز الأحكام الفقهية المرتبة على هذه الأقوال . ولذلك أكثر في شرحه من ذكر المصطلحات الفقهية مثل المحرمات والمكروهات والواجبات والمندوبات والعبادات والمعاملات وما إلى ذلك من مقولات الفقه ، كأنه لا يرضى

(١) وذلك في شرحه على ترجمة أبي حمزة الخراساني : انظر الرسالة ص ٢٥

يأخضع التصوف في جلته إلى الإسلام في أسسه ومبادئه العامة ، بل يحاول أن يخضع أقوال الصوفية وأنعامهم لموازين الفقه الإسلامي . وهذا مما هبط بأسلوبه في شرح الرسالة عن المستوى العالى الذى صيغت فيه عبارات التفسيرى وأقوال من يروى عنهم من الصوفية . فالفرق عظيم حقاً بين فقهه وروحانية هؤلاء .

وسأسوق هنا مثالا واحداً أوضح به كيف يعالج اللخمي أحياناً مسائل التصوف معالجة فقهية ويفعل جانبها الصوفى أو الروحى .

بذكر التفسيرى في باب الرجاء (١) أن رجلاً سكيراً جمع قوماً من ندمائه للشراب ، ودفع إلى غلام له أربعة دراهم يشتري بها فاكهة للمجلس . فر الغلام بمنصور بن عمار وهو يسأل لفقير شيئاً ويقول : من دفع له أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات . فدفع الغلام للدراهم ودعا منصور له أربع دعوات : الأولى أن يتحرر من العتق ، والثانية أن يخلف الله عليه دراهمه ، والثالثة أن يتوب على سيده ، والرابعة أن يغفر له ولسيده وللقوم . فلما رجع الغلام إلى سيده أخبره بما حدث فأعتق الغلام وأعطاه أربعة آلاف درهم وتاب عن الحمر ورأى في المنام أن الله غفر له وللقوم .

يعاق اللخمي على هذه القصة بأن يثير مسألة هي في صميم الفقه : وهى هل للعبد ( المماوك ) حق التصرف على الإطلاق أم أنه وما ملكت يده لسيده ؟ مع أن القصة موقفة في باب الرجاء للتدليل على عظم كرم الله وسعة جوده وأنه يجازى على الحسنة بعشرة أمثالها . فقد جازى الغلام على إحسانه على الفقير هذا الجزاء الواسع الذى عمه وعم غيره . واللخمي يحدث كبير أيضاً ، يقتبس من الحديث كلما عنت مناسبة ، ويرويه على وجوهه المختلفة ، ذاكراً المصاحف الرئيسية التى يروى عنها كالموطأ وصحيح مسلم وصحيح البخارى والنسائى وغيرها من كتب

(١) الرسالة ص ٦٤

الحديث المعروفة . وهو لا يكفى بذكر الأحاديث الدائرة على السنة الصوفية بل يذكر كثيراً غيرها في مقام الانتصار لرأى صوفى أو فقهي ، أو الرد على رأى مخالفت .

وهناك ركن ثالث - إلى جانب الفقه والحديث يظهر جانباً من جوانب شخصية اللخمي العلمية - هو علم الكلام الأشعري الذي نلمسه في وضوح عندما يفسر به الشارح بعض أقوال الصوفية على أساس كلامى بدلاً من أن يشرح المعانى الروحية الدقيقة التي تنطوى عليها هذه الأقوال .

ففى شرحه مثلاً لما نسب إلى الحسين بن منصور الحلاج من قوله ( في باب الخوف من الرسالة ) (1) « من خاف من شيء سوى الله تعالى أو رجاء سواه . أغلق عليه أبواب كل شيء . وسلط عليه الخفاة ، وحجب قلبه بسبعين حجاً أبسرها الثلث » . يفسر « الثلث » بأنه عدم معرفة العبد المحجوب أن الخلق يجهلون محبتهم محترون مخزون لما يحدثه الله تعالى مقارناً لقدارهم الحادثة . فإذا نظر في الأسباب وغفل عن المسبب ، وقل إيمانه الصحيح بانفراد ربه بالأفعان . حصل في قلبه تردد اعتبارى عبر عنه بالثك . وهذا الكلام الصريح في أشعريته قد يكفى في تفسير شك العبد الحائر المحجوب عن حقيقة الله الفاعل ، ولكنه لا يبيط اللثام عن المعنى الصوفى الدقيق الذى رى إليه الحلاج .

يقول الحلاج « من خاف من شيء سوى الله ، أو رجاء سواه ، أغلق عليه أبواب كل شيء ، وحجب قلبه بسبعين حجاً أبسرها الثلث » . فإذا لاحظنا أنه يريد بما سوى الله المخلوقات ، وأن المخلوقات لا تخلو عن أن تكون من الأشياء الخوفاة أو المرجوة ، لزم أن من خافها أو رجاها لذاتها ، ودون نظر إلى خائفها ، أغلق الله في وجهه باب المعرفة بكل شيء ، وحجبه بأنواع متعددة من الحجب ، أبسرها وأقلها الثلث في حقيقة الوجود . وذلك أن من قعد مع الآثار ولم ير المؤثر فيها ،

(1) الرسالة الغشيرية ص ٦١

أو ارتكن إلى الأسباب ولم يدرك المسبب ، انقطع به الطريق في يدهاء  
 الشك : لعدم وصوله إلى تفسير معقول نهائى لحقيقة الوجود . فالله عند  
 الصوفية هو الحقيقة الوجودية الشاملة ، انبأى أثره وصفاته في كل  
 مخوف .. وهو مظهر صفات الجلال الإلهى - وكل مرجو - وهو مظهر  
 صفات الجمال الإلهى . والتصوف الحق هو الذى لا يخاف ولا يرجو  
 سوى الله ، بل يرى صفات الجلال في كل مخوف ، وصفات الجمال  
 في كل مرجو .

ويقول القشيري في باب «الرجاء» : «وقيل الرجاء رؤية الجلال  
 بعين الجمال» (١) ، فيقول اللخمي « وهذا خارج عن الرجاء بالكلية ،  
 فإنه راجع إلى المعرفة » . يقول هذا لأنه لم يلتصق إلى التكنة الصوفية  
 في قول انقائل . والذى أراه أن هذا هو عين الرجاء وجوهره . فإننا إذا  
 فهمنا أن المراد بالجلال صفات الظهور الإلهى : وبالجمال صفات الرحمة  
 والمحبة وما ينطوى تحتهما ، أدركنا أن العبد إذا نظر إلى صفات الجلال  
 بعين صفات الجمال ، فأدرك أن الله الذى وصف نفسه بصفات الظهور  
 والغلبة والغضب والانتقام والتعذيب هو بعبه الذى وصف نفسه بالرحمة  
 والود والمحبة والشفقة والعدل : أقول إذا أدرك العبد هذه الحقيقة  
 كان إلى الرجاء أقرب ، بل كانت نظيرته هذه هي عين الرجاء : لأنه  
 يرى الله المعذب المنتقم عادلا ، والقاهر الباطش غنورا رحيمًا . فيرجو  
 ثوابه ولا يخاف عقابه ، ويضع في محبته والتقرب منه ولا يحشى انتقامه .  
 وهذا ليس عين الرجاء فحسب ، بل عين التصوف الحق .

واللخمي فوق هذا كله واعظ شديد التحمس في وعظه : يفيض  
 شرحه بالدفاع عن الإسلام في ناحيته العقيدية والتشريعية ، ويتخذ من هذا  
 الشرح منبراً يعلن من فوقه صيحة الإنكار على الخارجين عن الطريق  
 التي رسمها السلف وأهل السنة ، في كل صغيرة وكبيرة خرجوا فيها ،

(١) الرسالة القشيرية ص ٦٢

كما يتخذ من أقوال الصوفية مناسبات للوعظ في الأخلاق الإسلامية ،  
 فيقص قصص الأولياء والصالحين ، ويسوق الآيات والأحاديث ،  
 ويستشهد بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسير صحابته والتابعين وغير  
 ذلك مما يلجأ إليه الوعاظ من أساليب التأثير في الجماهير . وهذا من غير  
 شك من أكبر الأسباب في تضحيم شرحه ، فإننا نجد أحيانا يستلم  
 لهذا الأسلوب الوعظي ، ويستطرد فيكتب في شرح فقرة من النص  
 لا تتجاوز ثلاثة أسطر ما يقرب من صفحتين .

ووعظه - كما قلنا - منصغ بصيغة فقهية أكثر منها صوفية :  
 فهو أشد حرصا على إظهار ما هو حلال وما هو حرام ، وما هو محمود  
 وما هو مذموم من وجهة نظر الشرع - أو من وجهة ظاهر الشريعة  
 على حد تعبير الصوفية - . منه على إظهار المغازى الروحية البعيدة  
 التي يعبرها الصوفية بأطن الشريعة وحقيقتها .

ولكن النخعي فوق هذا كله ، ورغم هذا كله ، صوفى من طراز  
 خاص ، هو طراز النقيب الزاهد النورع الذي لم يقف فقهه حائلا بينه  
 وبين التصوف ورجاله كما وقف في حال كثيرين من الفقهاء المزمعين  
 من أمثال ابن حنبل وابن تيمية ، بل رأى في التصوف حملا وروحانية  
 فأحبه وأعجب بأصحابه ، وعاش عيشة الصوفية بين المريدين والأتباع  
 وصحب كثيرين من المعروفين بالزهد والصلاح في عصره . ولكنه  
 في تصوفه سنى قح وفقه قح كما ذكرنا . وهو بانتهاجه هذا المنهج إنما  
 يسر في نفس الطريق الذي رسمه القشيري في رسالته : أعنى وضع  
 التصوف في إطار خاص بحيث يتمشى مع تعاليم السلف وأهل السنة ،  
 ولا يدخل فيه شيء من تعطيل المعتزلة وتشبيه المشبهة والخمسة . أما منزلته  
 في علم التصوف وتاريخه فيشهد بها شرحه الذي بين أيدينا كما يشهد به  
 شرحه على منازل السائرين للهرودي (1) (المنوفى سنة ٤٩١) ، فإن

(١) يشير إليه القس في شرحه على الرسالة ويلقبه بشيخ السنة وشيخ الإسلام : شرح  
 الرسالة و ١١٢ ، ١٣٤

الظاهر من هذين الشرحين أن الرجل كان ملماً يلماً واسعاً بتعاليم الصوفية وتاريخ رجالهم ، بصيراً بغير التصوف التي اختار لشروحه منها ثلاثة : هي الرسالة القشيرية ، ومنازل السائرين للهورى ، والرعاية للمحاسبي .

\*\*\*

### مخطوطة الدلالة

اعتمدت في هذا المقال على صورة شمسية لمخطوطة اسطنبول رقم ١٢٤١ بمكتبة مراد ملا التي وردت في صفحة عنوانها ما يأتي :

« كتاب الدلالة على فوائد الرسالة المنسوبة إلى الإمام العالم القشيري رحمه الله . اعتنى بشرحها وإيضاح مشكئها وآثارها وفوائدها الشيخ الإمام العالم العارف سديد الدين أبو محمد عبد المعطى بن الشيخ الأجل الأمين أبي التاء محمود بن عبد المعطى الإسكندري اللخمي قدس الله روحه ونور ضريحه » .

وفي صفحتها الأخيرة

« كمل كتاب الدلالة على فوائد الرسالة بحمد الله وعونه . نسخ في سنة ثلاث وأربعين وسبعائة من نسخة قوبلت على الشارح رضى الله عنه . وكتب المقابل لها على شارحها في آخرها : وكان الفراغ من إتمام هذا الشرح المبارك في سنة ثمان وثلاثين وسبائة هـ » .

والمخطوطة مكتوبة بخط نسخي نفيس ، وعدد أوراقها ٣٦٩ ورقة ، مسطرتها ٢٥ سطرًا ومقياسها ٢٦×١٨ سم .

ويتألف الشرح من جزئين كبيرين ، يقع الجزء الأول في ٢٤٨ ورقة ، ينتدىء بأول الرسالة وينتهي بانتهاء باب « الجوع وترك الشهوة » . ويقع الجزء الثاني في ١٢١ ورقة ، ينتدىء بباب « الأدب » وينتهي بانتهاء الكتاب .

تدريجياً وبالخطوطية خروم كثيرة أكبرها وأخطرها في نهاية الجزء الأول -  
من أول باب « الخشوع والتواضع » إلى آخر باب « التصوف » ، وأصغرها  
في الجزء الثاني وهي خمسة خروم .

(١) جزء كبير من باب « الأدب » .

(ب) باب « أحكامهم في السفر » .

(ج) باب « الصحة » .

(د) الجزء الأخير من باب « التوحيد » .

(هـ) من أول باب « أحوالهم عند الخروج من الدنيا » إلى فصل  
« ثم هذه الكرامات » .

وقد اطعت على مخطوطة بدار الكتب المصرية - رقم ٧٠٣  
تصوف - وهي لجزء من كتاب الدلالة لسيد الدين اللخمي . وفحصت  
خطها ومحتوياتها ، فإذا بها تتفق ومخطوطة اسطنبول في الحجم والخط  
وتحلاً للغة الموجودة بالجزء الأول من مخطوطة اسطنبول ملاً بحكما :  
حيث تبدأ باب « الخشوع والتواضع » وتنتهي بانتهاء باب « التصوف »  
فأيقنت أن مخطوطة القاهرة كانت في وقت من الأوقات ضمن الشرح  
الكامل إما في اسطنبول ، وإما في القاهرة ، ولأمر ما انفصلت  
عن الأصل . وللمخطوطات أحداث وحفظ لا تقل في طرائفها  
عن أحداث الناس وحفظهم .

أما الأجزاء الأخرى الساقطة في الجزء الثاني ، فلم أوفق إلى العثور  
عليها ، كالم أوفق إلى العثور على نسخة أخرى كاملة لشرح الدلالة .

### مقارنة بين شرحي اللخمي والأنصاري

سبق أن ذكرنا في مسهل هذا المقال أن شرح الشيخ زكريا الأنصاري  
على رسالة القشيري مستمد في جملة من جملة من شرح الشيخ سيد الدين اللخمي .  
والآدمغوي . هذا القول تفصيلاً يعقد مقارنة بين الشرحين ، وبيان وجوه

لائفاق ووجوه الاختلاف بينهما . أما اللئفاق ، فهو فى صورته العامة اتفاق فى جوهر مادة الشرح : إما عن طريق النقل الحرفى ، وهذا فى أغلب الأحيان ، وإما عن طريق النقل بالمعنى . وأما اللئفاق ، فهو فى صورته العامة أيضا ، اللئفاق فى طريقة الشرح وتفاصيل المادة . ولئبدأ الآن بذكر طريقة كل من الرجلين فى شرحه .

أما النخعى فىلخص منهجه فى شرحه فى قوله :

” وقد رأيت – والله المستعان – أن أذكر هذا الكتاب ( أى الرسالة ) من أول خطبته ، وأتبعه شيئا فشيئا على حسب ما يفتح الله سبحانه به بفضه وكرامته ، وأن أبين ما احتاج إلى بيان ، وأشرح ما احتاج إلى زيادة بسط بغيره من العرفان . فهذا انتهى الكلام . إن شاء الله . إلى ذكر المغامات من التوبة والزهد وغير ذلك من الأبراب ذكرت حد كل مقام على وجه التحقيق والصواب ، وأجريت عليه جميع أقوال السادة من المشايخ لتعرف مقاصدهم من التحديد أو بيان الثمرات والأسباب “ .

فهو يذكر فى شرحه نص الرسالة التشرية برمه . وهذا مما يزيد فى قيمة كتابه إذ يضع أمام القارىء نفا سلبا محققا مأخوذا عن اللئقات من رواة التصوف . ثم يقسم هذا النص إلى فقرات طويلة فى أكثر الأحيان ، تصيرة فى أقلها . مبتدئا كل فقرة بقوله : قال الإمام : ثم يشرح فى اشرح مبتدئا بقوله « قال الشارح » ، فىتناول الفقرة التى يشرحها تناولاً عاماً ، مشيراً إلى الموضوع الأساسى الذى تحتويه . ثم يأخذ فى التصيل والتدقيق ، فىقسم الفقرة الطويلة إلى أجزاء صغيرة . شارحاً معنى كل جزء ، معرفاً المصطلحات الواردة فيه ، مدعماً ما يقول بمختلف أساليب التدعيم ، إما عن طريق ذكر آيات قرآنية أو أحاديث ، أو أقوال لئصوفية أو المتكلمين من الأشاعرة ، وإما يسرد حكايات مروية عن النبى أو الصحابة أو التابعين أو أوائل الزهاد واللئصوفة .

وكثيراً ما يقص بعض الحكايات عن معاصريه الذين عرفوا بالزهد والورع أو الكرامات وخوارق العادات . فاللخمي بذلك يذكر نص الرسالة مرتين ، ويكرر الشرح من زاويتين مختلفتين ، مستطرداً أثناء شرحه ، واقفاً نفسه موقف الواعظ المدافع عن الإسلام بوجه عام والتصوف السني بوجه خاص . وهذا سر تضخم شرحه الذي يقارب ثلاثة أمثال شرح الأنصاري .

أما منهج الأنصاري فهو المنهج المؤلف في الشرح ، وهو إيراد فقرات قصيرة من المتن محصورة بين حاصرتين ، ثم تفسير هذه الفقرات تفسيراً موجزاً . وهو في هذا يقتبس من شرح اللخمي ما هو ألصق بتوضيح ألفاظ المتن ، ولا يكاد يعدو ذلك إلى غيره مما يستطرد فيه اللخمي .

\*\*\*

وأما مادة الشرحين فتتفق في الجوهر وتختلف اختلافاً كبيراً في التفاصيل كما قلنا . فالأنصاري يأخذ زبدة شرح اللخمي ، ويغفل التكرار والاستطراد والترادف في العبارات ونحو ذلك مما يفيض به ذلك الشرح ، ويغفل كذلك الحكايات الكثيرة التي يسوقها اللخمي في معرض إيضاح المسائل الصوفية أو الفقهية أو الكلامية ، ويتجنب اقتباس الجمل الطويلة ، المملة أحياناً ، التي يستلم فيها اللخمي للأساليب الخطائية القضاة ، والسجع المبذل ، محاولاً التأثير في نفوس قارئ كتابه .

فهذا المعنى نستطيع أن نقول إن شرح الأنصاري تلخيص - وتلخيص جيد - لشرح اللخمي ، وإنه ليس شرحاً آخر على الرسالة . غير أننا لا ندعي في الوقت نفسه أن الشرحين متطابقان تمام التطابق ، فإن الأنصاري قد ينفرد أحياناً بشرح بعض عبارات من النص لم يتعرض اللخمي لشرحها أو لم يوفها حتها من الشرح - وهذا قليل . ولكنهما متطابقان ومتحدان إذا نظرنا إليهما في جملة ما وجوههما .

وتكشف المقارنة بين الشرحين عن فوارق أخرى لما مفرها :  
لأنها لا تتصل بفرن الشرح مثل الفوارق التي ذكرناها ، بل تتصل بمحاولة  
الأنصاري إخفاء نقله عن اللخمي ، والظهور بمظهر الشارح الأصيل .  
فهو لا يكتفى بإغفال ذكر اسم هذا الرجل إغفالا تاماً ، ولا بإغفال  
اسم شرحه ، بل يسعى عمداً إلى طمس معالم شخصيته ، ويسقط كل  
شارة تشير إليها ، فن ذلك :

(أولاً) أن اللخمي يذكر طائفة غير قليلة من أسماء معاصريه  
من رجال الزهد والنورج أو رجال الفقه أمثال أبي النور الإسكندري  
وأبي عبدالله محمد الملقب ، وأبي الفتوح الصقلي ، وعبد الله الميجي ،  
وأبي انطاهر إسماعيل الإشبيلي ، وأبي بكر البهاوي ، وأبي عبدالله محمد  
الغزال وغيرهم ، ويستشهد بأقوالهم أو حكايات رويت عنهم ،  
فلا يذكر الأنصاري واحداً من هؤلاء ، ولا يتعرض للمناسبات  
التي من أجلها ذكرت أسماؤهم ، وذلك لاتصافه اتصالاً مباشراً بالرجل  
الذي ينقل عنه .

(ثانياً) إذا كان اللخمي رأى خاص في مسألة يعينها ، يذكره  
الأنصاري ويقول فيه « وقيل كيت وكيت » ويتعمد إغفال اسم القائل .  
مثال ذلك أنه بعد أن شرح آيات ابن المعتز الواردة في الرسالة (1) وهي :  
وأمطر الكأس ماء من أبارقها فأنبت الدر في أرض من الذهب  
وسبّح النجوم لما أن رأوه عجباً نورا من الماء في نار من العنب  
سلافة ورثها عاد عن إرم كانت ذخيرة كسرى عن أب فاب

يقول الأنصاري : « قيل لا حاجة لتثنيته بما قاله من ذكر الوصف  
للخمر وكال وصفها ، وأنها منخورة أبا عن أب ، بل لو تركه كان

(1) الرسالة ص ٣٥

أولى ، لكنه إنما قصد به لطفة ما وجده من حاله وحسن ما يشاهده  
وكمال نوره في عنه ، (١) .

ولكن القائل لهذه العبارة هو اللخمي الذي يعقب على استشهاد  
القشيري بأبيات ابن المعتز في وصف الخمر بقوله « وما ذكره الإمام  
رضي الله عنه ( أي القشيري ) من هذا التمثيل إنما قصد به لطفة ما وجده  
وكمال ضيائه . وحسن ما شاهده في كمال لطافته ودقته وحسن ضيائه  
وكمال نوره في محله . وشبهه بما لا حاجة له فيه إلى تشبيهه به من ذكر  
الخمر وكمال وصفها واستحسانها ، وأنها ملذخة أبا عن أب ، فلذلك  
لطفت وحسنت . وهذا مما لو أمكن أزلته لاستغائه عنه بغيره ونظيره  
كتابه منه ومن ذكر أمثاله ، (٢) .

(ثالثاً) قد يشير اللخمي إلى نفسه في معرض مناقشة رأيه  
من الآراء كأن يقول « معناه عندي » أو « وفي رأبي كذا » ويذكر رأيه  
الذي يعارض به آراء أخرى ، فيحذف الأنصاري كل إشارة تشير  
إلى شخصية اللخمي ويقر رأيه كما لو كان رأيه هو : كما قال في شرح  
قول السري السقطي « أعرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة ... لا تحمل  
من أحد شيئاً ، ولا تأخذ من أحد شيئاً ، ولا يكن معك شيء تعطى أحداً »  
( قال ) لأن العبد يكتب بقلر حاجته من وجه طيب فيستغنى به  
عن السؤال ، ولا يتعلق به أحد من المحتاجين (٣) .

أما اللخمي فيذكر هذا الشرح نفسه ، معبراً عن رأيه هو في مقابلة  
آراء أخرى قلت في تفسير قول السري السقطي فيقول :

« فقوله طريقاً قصداً إلى الجنة » معناه عندي - والله أعلم  
أن العبد يكتب مقدار الضرورة والحاجة - من غير

(١) شرح الأنصاري ج ٢ ، ص ٥٠

(٢) شرح الخس : مخطوط و ١٢١

(٣) شرح الأنصاري : ج ١ ص ٨٧

فضول - من وجه طيب ، فيستغنى بذلك عن السؤال ،  
ولا يكون معه فضلة يتعلق بها لأحد من المحتاجين ...  
وسمعت بعض الناس يتأول هذا على غير ما أشرت إليه  
الشيخ الخ ، (١) .

على هذا النحو يعنى الأنصارى في شرحه : يقتبس ما شاء  
أن يقتبسه من شرح اللخمي . ويترك ما شاء أن يتركه : لا يعترف  
له بفضل ولا سبق ، بل يعتمد إخفاء كل شيء يمكن أن يترشد به  
في معرفة هذا الشارح المقصود ، أو يستدل به على شرحه .

والآن ، وقد ظهر الحق ، وتبينت قيمة شرح الأنصارى على  
حقيقتها ، يجب أن نعترف بانفضل لصاحبه لا لدعيه ، وأن نعتبر  
الشيخ سعيد الدين اللخمي الشارح الأكبر والأصيل لرسالة التمشيري ،  
لا الشيخ زكريا الأنصارى .

(١) شرح اللخمي : مخطوط و ٢٧ ب